

المائة الثانية

١٨١ - يزيد بن أبي مسلم

مولى الحجاج وكاتبه ، وقيل : كان أخاه من الرضاة . ولاء يزيد بن عبد
[١-١٨٢] الملك في سنة إحدى ومائة إفريقية ، فقدمها في سنة اثنتين بعدها ، / وفيها كان
مقتله على يد حرمه .

١٨٢ - عبید الله بن الحبّاح

مولى عقبة بن الحجاج السلولي القيسي

كان والياً على مصر لهشام بن عبد الملك ، فكتب إليه يأمره بالمصير إلى
إفريقية ، وذلك في شهر ربيع الأول - وقيل في شهر ربيع الآخر - سنة ست
عشرة ومائة ، فاستخلف ابنه القاسم على مصر ، واستعمل ابنه إسماعيل على
الشوس ، واستعمل أيضاً على الأندلس عقبة بن الحجاج مولاه^(١) ، وعزل عبد
الملك بن قطن الفهري .

(١) ذكر ابن عذاري في البيان المغرب : ٥٢/١ - ٥٣ كيف ولي عبید الله بن الحبّاح

مولاه عقبة بن الحجاج السلولي الأندلس ، وهو خبير لطيف يدل على رجولة ابن الحبّاح ووفائه .

ويقال : كان على الأندلس يومئذ عنبسة بن سحيم الكلبى ، فهلك عقبة بالأندلس ، فرد عبيدُ الله عليها عبدُ الملك بن قطن^(١) .

وذكر عبدُ الله بن وهب الفقيه أن عبيد الله بن الحبّاب كانت مصر من العريش فى عمله وإفريقية والأندلس وما بين ذلك .

وقرأت فى « الكتاب المُعرب عن أخبار المُغرب » أن عبيد الله كان كاتباً بليغاً حافظاً لأيام العرب ووقائعها وأخبارها ، ذا بلاغة فى لسانه وقلمه ، وكان يقول الشعر . قال مؤلفه : وكنت سمعت له أبياتاً لم أحفظ منها وقت تأليفنا هذا الكتاب شيئاً فنثبته . وهو الذى بنى المسجد الجامع بتونس ودار الصناعة بها .

وروى عبدُ الله بنُ أبى حسان اليخضبي عن أبيه - وكان بليغاً فصيحاً - قال : سمعت عبيد الله بن الحبّاب يوماً يُعَلِّمُ^(٢) رسالةً ويُفكُّ اسماً من دفتر العطاء ، ويأمر بحاجات فى ناحية أخرى ، ويحكم فى خَلَلٍ^(٣) ذلك بين رجلين متنازعين .

وقال ابنُ غانم القاضى^(٤) : كان عبيدُ الله بن الحبّاب رجلاً من قيس

(١) كان عبد الملك بن قطن الفهرى عامل الأندلس منذ مقتل عبد الرحمن بن عبد الله النافق فى وقعة بلاط الشهداء فى رمضان ١١٤ / أكتوبر ٧٣٢ إلى أن عزله عبيد الله بن الحبّاب وولى عقبة بن الحجاج السلولى فى شوال ١١٦ / نوفمبر ٧٣٤ ، وظل عقبة والياً حتى صفر ١٢٣ / يناير ٧٤١ ، فعاد عبد الملك بن قطن إلى ولايتها .

(٢) أى : يعلّم .

(٣) أى : فى خلال ذلك .

(٤) أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن شرحبيل بن ثوبان الرعيّنى قاضى إفريقية . ولد سنة ١٢٨ وتوفى سنة ١٩٠ وتولى القضاء سنة ١٧١ . انظر عنه « رياض النفوس » لأبى بكر المالكى رقم ٨٧ ج ١ ص ١٤٣ - ١٥٥ ، و« معالم الإيمان » للدباغ ، ج ١ ص ٢١٥ ، و« ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك » (مخطوط دار الكتب بالقاهرة) ج ١ ورقة ١٤٣ .

ثم من بني سلول ، مولى وليس بالصریح . فولى من إفريقية إلى الخضراء^(١) .
وكان أوله كاتباً ، ثم تناهت به الحال إلى أن صار إلى المنزلة التي كان بها ،
فتحدث ذات يوم بالقيروان فقال : « إنما كنت كُويْتباً ، ثم صرت كاتباً ، ثم
صرت أميراً ، ثم أنا اليوم أمير كبير ، والحمد لله » .

وقفل عبيدُ الله إلى هشام في جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين بعد
انقضاء البربر عليه وقتلهم عامه بطَنْجَة [عمر بن عبد الله المرادى]^(٢) وانصرف
إلى المشرق ، فيذكر أنه تولى الخراج وكتب فيه مروان بن محمد بن مروان آخر
ملوك بني أمية بدمشق ، وقتل عبيدُ الله يوم قتل ابن هُبيرة بواسط ، وقيل بل
عاش خاملاً في أيام العباسية .

١٨٣ - منصور بن عبد الله

ابن يزيد الحميري

ذكره أبو علي الحسين بن أبي سعيد عبد الرحمن بن عبيد القيرواني المعروف
[١٨٣-ب] بالوكيل في الكتاب المعروف / « [بالمغرب]^(٣) » عن أخبار المغرب من تأليفه .
في طبقة أولى السلطان تالياً لعبيد الله بن الحُبَّاب . وهو جد محمد المهدي بن أبي

(١) التحديد هنا غير دقيق ، لأن الخضراء هي الجزيرة الخضراء ، ولم تقتصر ولاية
عبيد الله بن الحُبَّاب على المغرب فقط بل شملت مصر أيضاً بعض الوقت ، وشملت الأندلس كله .
ولا أذكر في الولاية من شملت ولايته هذه البلاد كلها إلا ابن الحُبَّاب . وربما كانت صحتها طنجة الخضراء .

(٢) انظر عن تفاصيل ذلك ابن عذاري : البيان المغرب : ٥١/١ - ٥٢ . وقد أكلت
الاسم الناقص منه .

(٣) أضفت هذه الكلمة إكمالاً لاسم الكتاب .

جعفر المنصور وشقيقه جعفر لأمهما ، وهي أم موسى بنت منصور هذا^(١) .
 وكان شريفاً في قومه معروف المكان فيهم ، مذكوراً بالبلاغة والشعر
 وكرم الأخلاق . وانتهى ولده من الشرف بعده إلى غاية لم يكونوا يؤملونها
 لقرابتهم من المهدي .

وتزوج أبو جعفر المنصور أمّ موسى هذه ، وهو إذ ذاك سوقة في آخر ولاية
 هشام بن عبد الملك ، لما نزلت الحميمة^(٢) من أرض البلقاء بعد وفاة زوجها ثم
 بين^(٣) عبيد الله من ولد العباس بن عبد المطلب .

وقيل : بل تزوجها بإفريقية ، وهو رحل^(٤) بها ، وكان يطوف البلدان في زمن
 بني أمية ، وأهل إفريقية يذكرون أنه طلب مرة فاستخفى في قصر صهره منصور
 الحميري عند قصر بشير بطريق سوسة ، وكان المنصور شرط لها أن لا يتزوج عليها

(١) جاء في جمهرة الأنساب لابن حزم : « ولد أبو جعفر المنصور : محمد أمير المؤمنين
 المهدي ، وجعفر الأكبر ، أمهما أم موسى الحميرية (وهي بنت منصور بن عبد الله بن يزيد الحميري
 المترجم له هنا) ، تزوجها أبو جعفر بالقيروان في دولة بني أمية . وكانت قبله عند قتي خليف
 من ولد عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان قد وقع إلى إفريقية فولدت له ابنة ، ومات .
 فاتصل بقومه (أي بني العباس) فنهض أبو جعفر بنفسه لاجتلاب بقيته ، فوجدها قد
 تزوجت رجلاً خياطاً ، وولدت منه ابناً ، ومات الخياط ، فتزوجها أبو جعفر بالها ، وسمى
 ابن الخياط طيفور . . » (ص ١٩) .

(٢) الأصل : الحسيمة ، وجعلها مولر (ص ٣٥١) : الحصيمة ، وكلاهما تصحيف ،
 والصحيح الحميمة ، ذكرها ياقوت (٣/٣٤٦) وقال : بلد من أرض السراة من أعمال عمان
 في أطراف الشام . كان منزل بني العباس . وانظر أيضاً :

GUY LE STRANGE, *Palestine under the Moslems* (London, 1890),
 p. 455.

(٣) كذا في الأصل ، ولم أستطع تقويم هذا اللفظ . وقال مولر معلقاً على هذا اللفظ
 (ص ٣٥١) : غير واضح . في المخطوط شيء مثل : يز . وهذه العبارة تستقيم إذا جعلناها : ...
 بعد وفاة زوجها وكان من بني عبيد الله . . الخ (انظر جمهرة ابن حزم ، ط . عبد السلام
 هارون . ص ٢١) .

(٤) هذا اللفظ بخلق وربما كانت صمته : راحل .

ولا ينسري ، وكتبت عليه بذلك كتاباً ، فعذب^(١) بها عشر سنين في سُلطانه ، ثم أتته وفاتها فأهديت إليه في تلك الليلة مائة بكر .

وكانت دار منصور بالموضع الذي به دور بني قافذ^(٢) بالقيروان .

وحفص صاحب الخراج مولى بني منصور ، وإليه يُنسب قصر حفص .
ولحق يزيد بن منصور بأخته أم موسى ، فلما ولي المهدي ولاء خراسان ، وجأت حاله حتى صار الشعراء يمدحون من كان من ولد المهدي بولاء منصور لهم ، ومن ذلك قول أبي نؤاس في العباس بن جعفر بن أبي جعفر المنصور :

فجَدَاكَ هذا خيرُ قطانٍ واحداً وهذا إذا ما عُددَ خيرُ نزارٍ
يعني بالقحطاني منصوراً الحميري ، وبالنزاري أبا جعفر المنصور . وقوله
في الأمين :

وما مثلُ منصورِك منصورِ هاشمٍ ومنصورٍ قحطانٍ إذا عدَّ مَفخرُ
فن ذا الذي يرمي بسهميك في الوري وعبدُ منافٍ والداك وحَميرُ
وقال سلم بن عمرو البصري^(٣) في المهدي :

أكرمَ بقرمٍ^(٤) أمينُ الله والدةُ وأمه أم موسى بنتُ منصورٍ

(١) كذا في الأصل بوضوح ، ولاندرى ما السبب في عذابه بها ، لأن الظاهر أنه لم يستمسك بالشرط الذي كتبه لها على نفسه وتزوج في حياتها كثيرات غيرها . وقد ذكر ابن حزم في الجمهرة من نساؤه فاطمة بنت محمد بن محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله ، وامرأة من بني أمية وأمها أولاد أخريات منهن الكردية أم جعفر أكبر أبنائه (ص ٢١) .

(٢) كذا في الأصل ، ويحتمل أن تكون بني قافذ .

(٣) هو سلم الحاسر . وقد جمع ما ورد في الأصول من شعره فوستاف فون جرونباوم في كتابه « شعراء عباسيون » . انظر الترجمة العربية مع التحقيق والتعليقات بقلم الدكتورين محمد يوسف نجم وإحسان عباس (بيروت ١٩٥٥) ص ٧٧ وما يليها .

(٤) القرم هو السيد .

/ وسَلِمَ هذا هو المعروف بالخاسر ، وقيل له ذلك لأنه باع مصحفاً واشترى [١-١٨٤] بثمانه شعر امرئ القيس ، وقيل شعر الأعشى ؛ وقيل بل ورث من أبيه مصحفاً فباعه واشترى بثمانه طنبوراً ، فسُمي الخاسر .

وأبو محمد يحيى بن المبارك النحوي صاحب أبي عمرو بن العلاء ، أحدُ القراء ، إنما قيل له اليزيدي لأنه كان يؤدب ولد يزيد بن منصور ، فنسب إليه ، وكان بعد ذلك يؤدب المأمون .

١٨٤ - عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة

ابن عقبة بن نافع الفهري

انحاز إلى الأندلس مع بلج بن بشر بن عياض القشيري ومن كان معه من وجود أهل الشام ، في المحرم سنة ثلاث وعشرين ومائة ، بعد قتل البربر كلثوم ابن عياض أمير إفريقية عم بلج ، وحبيب بن أبي عبيدة والد عبد الرحمن ؛ وهؤلاء الجندهم المعروفون بالطالعة البلجية بالأندلس . فلم يزل عبد الرحمن بها يحاول التغلب عليها ، إلى أن دخل أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي والياً من قبل حنظلة بن صفوان الكلبي أمير إفريقية في رجب سنة خمس وعشرين ، فخافه عبد الرحمن وخرج مستتراً فركب البحر إلى تونس ، وأقام بها إلى أن قُتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الخميس لثلاث بقين من جمادى الأخيرة سنة ست وعشرين ومائة ، فدعا الناس فأجابوه ، وجمع لقتال حنظلة بن صفوان وإخراجه من إفريقية ، فتم له ذلك وانفرد بإمارتها في قصة طويلة عشرة أعوام

وأشهرًا . وكان مع بأسه وبسالته خطيبًا مفوهًا ، وهو أحد سادات العرب ورؤسائها بالمغرب^(١) .

(١) فصلنا هذه الحوادث في كتابنا « فجر الأندلس » ، انظر فهرس الأعلام : عبد الرحمن

ابن حبيب .

وعبد الرحمن بن حبيب كان ابن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع ، أي أنه حفيد الفاتح العربي الكبير . وكان قد نشأ في إفريقية وتزعم طائفة عربها ، أي الذين استقروا فيها واتخذوها لهم وطناً أو ولدوا فيها وأصبحوا يعدون أنفسهم عرباً إفريقيين ، وهم يقابلون البلديين في الأندلس .

وكان أولئك العرب الإفريقيون لا يستريحون إلى العرب الجدد المقبلين من المشرق ، ويناوئون الولاة الذين أقامهم بنو أمية ثم بنو العباس ، لأنهم كانوا يعتقدون أنهم أصحاب الحق في الولاية والحكم . وقد تزعم هذه الطائفة أول الأمر حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع ، وتصدى لمقاومة ولاة بني أمية ، وظهر أمره بصورة خاصة عندما ولي هشام بن عبد الملك كلثوم بن عياض القشيري في رمضان سنة ١٢٣ وأقبل معه ابن أخيه بلج بن بشر ، وكان شاباً عنيفاً شديد الغرور ، أثار غضب عرب إفريقية ، فاجتمعوا حول حبيب بن أبي عبيدة . وكان هذا الخلاف من أكبر أسباب هزيمة جيش كلثوم بن عياض في موقعة سبوس ، أواخر سنة ١٢٣ ، وقد قتل فيها عياض وحبيب بن أبي عبيدة ، ونجا بلج بن بشر منهزماً إلى سبته ثم إلى الأندلس . ونجا كذلك عبد الرحمن ابن حبيب ، فر إلى القيروان ، ثم عبر إلى الأندلس ليحرض عبد الملك بن قطن - الفهري مثله - على بلج وأصحابه ، فلما قتل عبد الملك بن قطن عاد إلى إفريقية واستطاع أن يتولى أمرها بالقوة سنة ١٢٩ ، وكانت له بعد ذلك أحداث مع أخويه إلياس وعبد الوارث فصل أمرها ابن عذارى (٦٠/١ وما بعدها) حتى قتل سنة ١٣٩ ، ولم ينته أمر بني عبيدة بن عقبة بن نافع بمقتله بل مضى بالفتنة ابنه حبيب وأخوه إلياس . ولم ينته أمرهم إلا في المحرم سنة ١٤٠ (راجع ابن عذارى : ٧٠/١) . وإليك تسلسل نسب الظاهرين من أهل هذا البيت كما استخرجته من الحلة السيرة وبغية الملتصق للضبى وجمهره أنساب العرب لابن حزم (ص ١٦٨) والبيان المغرب لابن عذارى (٦٠/١ وما بعدها) ونهاية الأرب للنويري (القسم الخاص بتاريخ المغرب ، نشره جاسپار ريمير) .

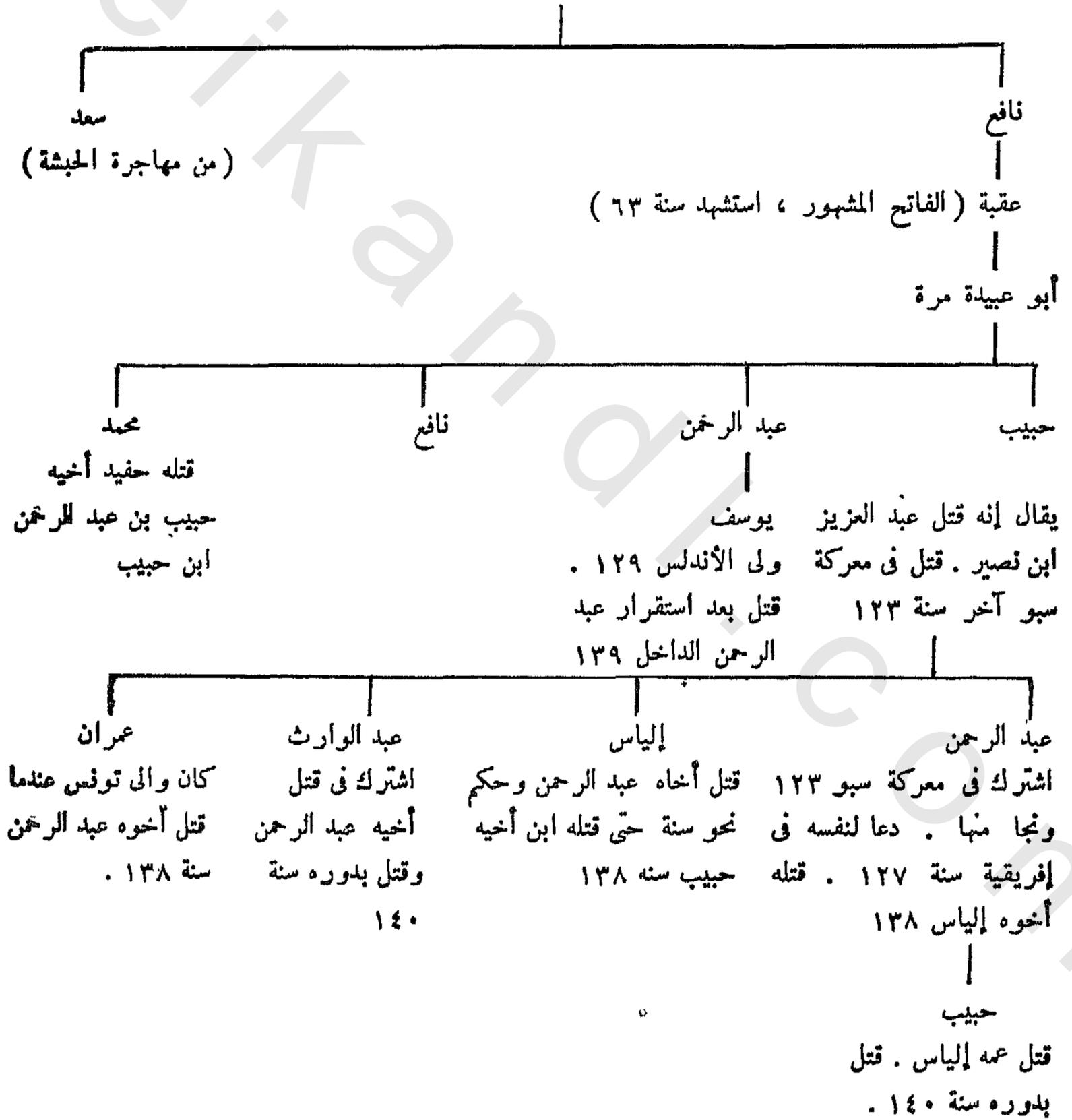
مع ملاحظة أن ابن عذارى يخطئ هنا فيكتب ابن أبي عبدة مكان ابن أبي عبيدة ، وفي بعض التواريخ التي أذكرها هنا خلاف بين المراجع .

١٨٥ - محمد بن عمرو القرشي العبدري

ابن حميد الغافقي

ثار بالأرْبُس^(١) في إمارة عبد الرحمن بن حبيب بإفريقية ، ولم يكن بدون

عبد قيس بن لقيط بن الحارث بن فهر



وسأضيف ملاحظات أخرى في تعليقاتي على ترجمة يوسف الفهري .

(١) الأرْبُس ، كذا أيضاً رسمها ياقوت (١٧٠/١) أما الإدريسي فوسمها بالصاد =

أخيه سليمان المتقدم الذكّر شجاعةً وبلاغةً وبيانا. وثار مع محمد هذا رجل من
الدربر يقال له ثابت ، فخرج عبدُ الرحمن بن حبيب لِحربهما فانهزما بين يديه ،
وسار محمد إلى طَنْجَة ، ثم ظفر به فسجنه وأخاه سليمان ، وعزم على قتلهما ،
[١٨٤-ب] فعوجل عبدُ الرحمن قبل ذلك ، وقتله أخوه إلياس بن حبيب في سنة / سبع
وثلاثين ومائة ، وأطلقهما من معتقلهما ، ثم قُتل إلياس في رجب سنة ثمان وثلاثين .

١٨٦ - عامر بن عمرو القرشي العبدري

هو عامر بن عمرو بن وهب بن مُصعب بن أبي عَزِيز بن عُمَيْر بن عبد
مناف بن عبد الدار بن قُصَيّ ، ابن أخى مُصعب بن عُمَيْر صاحب لواء رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم بدر وأحد^(١)؛ وهو الذى تُنسب إليه بقربطبة «مقبرة عامر»
ليصق سور المدينة الغربى وبابها المعطل إلى أن ملكها الرومُ في هذه المدة القريبة .
وكان أحدَ رجالات قريش - بل مُضَر - بالأندلس شرقاً ونجدةً وأديباً ،
وكان يلي المغازى والصوائف قبل يوسف بن عبد الرحمن الفهريّ ومعه ، فحسده

= (الأربص) وتكتب في كتب الجغرافية والخرائط الفرنسية Laribus ، كان لها شأن في أيام
الأغالبة بصفة خاصة ، فقد اتخذها زيادة الله بن الأغلب مقاماً لبعض الوقت ، وهى اليوم بلدة
صغيرة تابعة لمالة الكاف في شمال غربى تونس .

(١) عامر هذا من نسل زُرارة بن عُزَيز بن عمير ، وعزیز أخو مصعب بن عمير ، وقد
أسر عزيز يوم بدر كافراً ، أما مصعب فاستشهد يوم بدر . قال ابن حزم في الكلام عن زرارَة
ابن عزيز بن عمير : «وله عقب كثير ، منهم كان عامر بن وهب ، كان له بالأندلس قدر ، وبعث
إليه أبو جعفر المنصور بجلا ولواء بولاية الأندلس ، وقام بسرقة ، وقتله يوسف بن عبد الرحمن
الفهري ، وله عقب كثير بسرقة بقرية تسمى فُرْبُلان» (ص ١١٧) . وورد ذكر عامر
في «الأخبار المجموعة» (ص ٦٣) ولكنه أخطأ فقال إنه من ولد «أبي عدى أخى مصعب
ابن هاشم ، صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وأحد» ، والصحيح من ولد
أبي عَزِيز أخى مصعب بن عمير .

وعمل في إزالته ، فلما بدا ذلك لعامر راسل أبا جعفر المنصور يخطب إليه ولاية الأندلس ، ويسأله أن يرسل إليه بسجلٍ منه يقوم به . وأظهر التعصبَ لليمانية ، والإكبارَ لما سُفك من دماهم بشقنْدَة في أول ولاية يوسف .

ثم فرَّ عن قرطبة وصار بناحية سَرَقُسطَة ، حيث الصَّمَيْل بن حاتم ، يبغي الفسادَ عليه ، وهناك رجل من بني زهرة يُسمى الحَبَاب ، فكاتبه عامر ومَتَّ إليه بالمُضَرِّيَّة ، ودعاه إلى القيام على الصَّمَيْل في اليمن بسجلٍ أبي جعفر ، فاستجاب له . واجتمع لهما جمع من اليمن ورجال من البربر وغيرهم كثير ، فأقبلوا حتى حصروا الصَّمَيْل بسَرَقُسطَة في سنة ست وثلاثين ومائة ، ثم ملكها عامر وصاحبُه الزهرى في قصص طويلة .

وغزاها يوسف الفهري في عقب ذي القعدة سنة سبع وثلاثين ، فخاف أهل سَرَقُسطَة مَعَرَّةَ الجيش وعَضَّ الحصار ، فأسلوا عامراً وأبنته وهبًا والزهرى ، فقيدهم يوسف ثم قتلهم في طريقه بوادي الرَّمَل^(١) على خمسين ميلاً من طَلَيْطَلَة ، وذلك في صدر سنة ثمان وثلاثين . فما انقضى ذلك من فعله ولا دخل رواقه ، حتى أتاه رسول يركض من ولده عبد الرحمن بن يوسف من قرطبة يطوى البيدَ ، فأعلمه أن فتى من قریش من ولد هشام بن عبد الملك ، يقال له عبد الرحمن بن

(١) وادي الرمل Quadarrama : سلسلة جبال متوسطة الارتفاع تتفرع من سلسلة الجبال الوسطى El Sistema Central في وسط شبه الجزيرة ، تمر في مديريات مدريد وأبلة وشقوبية ، وتتصل من ناحية الشرق بسلسلة الجبال الإيبيرية ، ونقطة التقائها بسلسلة الجبال الوسطى مرتفع سوموسيرا Somosierra ، ويصل وادي الرمل إلى قرب مدريد عند مرتفع ناباثيرادا Navacerrada . وينبع من هذه الجبال نهر يسمى وادي الرمل Rio de Quadarrama أيضاً يتجه إلى الجنوب ماراً بضاحية الإسكوريال ويصب في نهر تاجه شرقي طليطلة . وهذا النهر - كما يدل عليه اسمه - جاف معظم العام تقريباً إلا في أوقات المطر الغزير .

[١٨٥-١] معاوية ، قد عبر البحر إلى الأندلس فنزل بساحل دمشق / - يعنى بناحية
إلبيرة - واجتمع إليه موالى بنى أمية وشيعةهم ، وتشوف الناس إليه ، فانتشر
الخبر في العسكر لوقته ، وشيت الناس بيوسف فسارعوا إلى الرفض^(١) من عسكره ،
وقوضوا إلى كورهم ، وأقبل إلى طليطلة في غلمانه وقيس قوم الصمائل .
ويقال إن كاتبه خالد بن زيد قال له ، بمحضر الصمائل وزيره وقد فرغ من
مؤاكتهما ذات يوم وهو ببعض منازل في طريقه : « هنيئاً لك أيها الأمير اكتمال
سعدك . قد قتل الله لك كاشحك ابن شهاب وفلاناً وفلاناً - يعد الأشراف
من العرب المقتولين في غزوه الروم - ووفقت لقتل أنغالهم ضميراً هذا العبدي
- يعنى عامراً وابنه - فمن ذا يعارضك بعدهم ؟ هي والله لك ولولدك إلى
الدجال^(٢) .

ثم خرج الصمائل إلى قبته ، واستلقى يوسف على فراشه - - وذلك وقت
العصر - فما راعهم إلا يريد يركض ، تشوف إليه أهل العسكر وقالوا : « رسول
من قرطبة ! » وتطلعوا إلى علم خبره ، فإذا كتاب أم ولد يوسف^(٣) مع غلام
خاص لها على بغلتها المشهورة بها ، تذكر أن فتى من أبناء هشام بن عبد الملك ،
يقال له عبد الرحمن بن معاوية ، عبر البحر ونزل بساحة إلبيرة على أبي عثمان^(٤)
مولاهم بقرية طرش^(٥) ، فشاء الله أن يكون وارث سلطانه ونازع ملكه .

(١) أى إلى الرفض .

(٢) روى هذه الأخبار بتفصيل أكثر صاحب « الأخبار المجموعة » ص ٧٦ وما بعدها ،
ولكنه يقول إن الصمائل بن حاتم هو الذى قال ذلك الكلام ليوسف الفهرى ، ونص كلامه
هناك : « قد قتل (سليمان) بن شهاب وقتلت عامراً (المترجم له) و (الحنا -) الزهرى ،
هي والله لك ولولدك إلى الدجال ، من هذا ينازعك ؟ » .

(٣) اسمها عند صاحب الأخبار المجموعة « أم عثمان أم ولده وصاحبة سلطانه » (ص ٧٨) .

(٤) هو أبو عثمان عبيد الله بن عثمان من كبار موالى بنى أمية في الأندلس إذ ذاك ، وكان

هو وعبد الله بن خالد « يتواليان لواء بنى أمية يعتقبان ذلك » (الأخبار المجموعة ٢ ص ٦٦) .

(٥) طرش Torrox مركز إدارى حالياً في مديرية مالقة - تقع على ٧٤ كيلومتراً منها .

١٨٧ — يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ، أبو محمد

قال ابن حَيَّان^(١) : زعم أبو بكر بن القُوطِيَّةُ أنه يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عُقبَةَ بن نافع الفهرى . قال : وما وجدت هدايةً إلى أن يوسفَ هذا الوالى بالأندلس وَلَدَهُ — يعنى عبد الرحمن المتقدم الذكر فى هذا الباب — ولا وجدتُ منتهاه فى جِذْمِ قومه ، فالله أعلم بشأنه — هكذا فى «المقتبس» .

وقد قال أبو محمد بن حزم فى كتاب « جهرة الأنساب » من تأليفه — وكثيراً ما يقلده^(٢) : عقبه بن نافع الفهرى ولدَ أبا عبيدة ، فولدَ أبو عبيدة حبيباً قاتِلَ عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وعبدَ الرحمن ونافعاً ، فولدَ حبيبٌ عبدَ الرحمن — وَلى إفريقيةً — وإلياسَ وعبدَ الوارث ، ولهم بإفريقية/ عقب كثير ؛ وولدَ عبدُ [١٨٥-ب] الرحمن بن أبي عبيدة يوسفَ ، وَلى الأندلسَ وله بها عقب ؛ وبالأندلس من فخر عدد عظيم^(٣) .

وعن الواقديّ أن أهل الأندلس اجتمعوا على يوسف بن عبد الرحمن من أجل أنه قرشى ، رضى به الحَيَّان — يعنى المصْرِية واليمانية — بعد ثُوابة بن

(١) الأصل : أبو حيان ، وهو تضحيف .

(٢) أى كثيراً ما يتبع ابن حيان فى رأيه .

(٣) انظر « جهرة الأنساب » ، ص ١٦٨ ، وقد أخذت بهذا الرأى فى شجرة نسب

بنى مرة أبو عبيدة بن عقبه بن نافع ، لأن يوسف الفهرى ولى الأندلس فى ٢ ربيع الأول سنة ١٢٩ وقتل بعد تولى عبد الرحمن الداخل الأندلس سنة ١٣٩ ، فهو أقرب إلى أن يكون ابن عبد الرحمن ابن أبي عبيدة بن عقبه بن نافع . أما القول بأنه ابن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة فلا يستقيم ، لأن حبيب بن أبي عبيدة قتل سنة ١٢٣ وابنه عبد الرحمن قتل سنة ١٣٨ ، فكيف يمكن أن ابن هذا الأخير تولى الأندلس سنة ١٢٩ وقتل سنة ١٣٩ ؟

سَلَمَة^(١) ، فرفعوا الحرب ومالوا إلى الدعة ، فدانت له الأندلسُ تسع سنين وتسعة شهور ؛ وكان آخرَ الأمراء بالأندلس ، وعنه انتقل ساطانها إلى الخلفاء^(٢) من بني مروان — أورد ذلك ابنُ حَيَّان .

وَحَكَى أن اجتماع الناس على البيعة ليوسف كان في شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشر بن ومائة ، وفي مثل هذا الشهر من سنة ثمان وثلاثين حل بمرفأ حصن المنكب^(٣) عبدُ الرحمن بن معاوية ، فالتقى هو ويوسفُ يوم الأضحى ، فانهزم يوسفُ وقتل كثير من أصحابه ؛ وخاب عبدُ الرحمن يومئذ على الملك . ويقال إنه تفاعل يومَ عرفة بما يتفق له في غده من صححة المشاكلة ، وقال : « يوم عيد ، ويوم جمعة ، وأموى مع فهري ... أبشروا ، فإنى أرجو أنها أخت وقعة مَرَج رَاهِط ! » فصدق الله ظن عبد الرحمن بيومه ذلك .

وقيل إن العلاء بن جابر العقيلي مشى إلى الصَّمِيل بن حاتم ، وقد التقى الجمعان ، فقال له : « أبا جَوْشَن ! اتق الله ؛ فوالله ما أشبهه هذا اليوم إلا بيوم المرج ، وإن عارَ ذلك لباقي علينا إلى اليوم . وإن الأمور ليُهتدى إليها بالأشباه والأمثال : أموى وفِهْرِيٌّ ، وقيس واليمن ، [و] وزير الفِهْرِيِّ في ذلك اليوم قَيْسِيٌّ »

(١) يقال أيضاً ثوابة بن سلامة الجذامى ، كان من جند فلسطين . طلب إليه عرب الأندلس أن يتولى أمرهم عندما انحرف أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي ومال إلى اليمن . وقد تولى ثوابة من رجب ١٢٧ / أبريل ٧٤٥ إلى المحرم ١٢٩ / سبتمبر - أكتوبر ٧٤٦ وأعقبت موته فترة شغور تولى الأمر في بعضها عبد الرحمن بن كثير اللخمي ، ثم اجتمع عرب الأندلس على يوسف بن عبد الرحمن الفهري في ربيع الثاني ١٢٩ / ديسمبر ٧٤٦ - يناير ٧٤٧ .
انظر : ابن عذارى ، البيان المغرب : ٣٥ / ٢ .

(٢) الأصح هنا أن يقال : إلى الأمراء فالخلفاء من بني مروان .

(٣) المنكب ، وتكتب حالياً **Almunecar** : فرضة صغيرة على البحر تابعة لمركز **مُطْرِيْل Motril** الإدارى في مديرية غرناطة ، وتقع على ٢٣ كيلومتراً شرقى هذا البلد الأخير . وقد اختصها صاحب « الروض المطار » بمادة طويلة (انظر رقم ١٧٩ ص ١٨٦ من النص العربى وص ٢٢٥ من الترجمة الفرنسية ، وتعليق رقم ١) .

وهو زُفَر بن الحَرث ، ووزير هذا اليوم أنت ، وأنت قيسى . . . ويوم عيد في يوم
جمعة أيضاً ، ويوم المرج يوم عيد في يوم جمعة ! الأمر والله علينا ما أشك فيه ،
فأبى عليه^(١) . ومن شعر زُفَر بن الحَرث في يوم مرج راهط وقتل فيه ابنه :

(١) المقارنة هنا بين موقعة المصارة وموقعة مرج راهط المعروفة التي قررت مصير
الدولة الأموية في المشرق فنقلت الأمر من السفينيين إلى المروانيين ، وأنقذت الدولة بذلك لأن
السفينيين لم يكن فيهم من يستطيع الثبات أمام عبد الله بن الزبير ، فلما نهض مروان بن الحكم
وكسب معركة المرج صارت الخلافة إليه ، فتمكن من جمع صفوف بني أمية والثبات للزبيريين .
والمقارنة بين الوقعتين طريفة ، لا من حيث الظروف العامة فقط بل من حيث النتائج أيضاً ،
والأمر الوحيد الذي يحتاج إلى تحقيق هو مقارنة التواريخ ، لأن وقعة مرج راهط استمرت
عشرين يوماً في حين أن المصارة دامت يوماً واحداً . والمقارنة بين الأشخاص في كلام العلاء بن جابر
العقيلي لا تتجاوز من طرفة .

فالأموي في المرج مروان بن الحكم ، وفي المصارة عبد الرحمن بن معاوية .
والفهرى في المرج الضحاك بن قيس الفهرى ، وفي المصارة يوسف الفهرى .
وكان الضحاك بن قيس مذنباً متردداً كما كان يوسف الفهرى ، فكما كان هذا الأخير يظهر
الرغبة في التفاهم مع عبد الرحمن بن معاوية كان الضحاك « إذا جاءتة اليمانية وشيعة بني أمية أخبرهم
أنه أموى ، وإذا جاءتة التيسية أخبرهم أنه يدعو إلى ابن الزبير » (الأغاني : ١٧ / ١١١) .
وزفر بن الحارث الكلابي أيضاً يشبه الصميل بن حاتم ، فقد كان كل منهما بدوياً صرفاً عنيفاً
وصاحب مكر ودهاء ، فقد كان زفر بن الحارث زبيرى الهوى ولكنه عرف كيف يجمع طائفة
كبيرة من قيس إلى صفه ويقودهم في المعركة .

ويقابل عبيد الله بن عثمان - كبير موالى بني أمية ونصير عبد الرحمن في معركة المصارة -
حسان بن مالك بن بحدل الكلبى زعيم اليمنية ونصير البيت الأموى ، ومن المعروف أن اليمنيين
كانت لهم الكلمة العليا في دولة بني أمية أيام يزيد بن معاوية وابنه معاوية الثاني ، فقد كانت أم كل
منهما يمنية ، وكان حسان بن بحدل خال يزيد وصاحب سلطان عظيم في دولة بني أمية ، وقد
انضم إلى مروان بن الحكم دفاعاً عن مركز اليمنية أمام القيسية الثائرة عليها والمؤيدة لابن الزبير .
انظر : يوليوس فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة
الأموية ، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبى ريدة ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١٦٧ وما يليها .
والمصارة كانت إذ ذاك ضاحية من ضواحي قرطبة القوطية ، وكانت تقع جنوبها على
شاطئ الوادى الكبير ، وفي العصر الإسلامى أصبحت المصارة جزءاً من قرطبة وإن ظلت خارج
سور البلد ، وهى امتداد « الرصيف » فاحية الجنوب بمحاذاة النهر .

لعمري لقد أبت وقيةً راهطٍ [بمروان صدعاً] ^(١) بيننا متنائياً
 فلم تُرَمِّني زلةً قبلَ هذه فرارى وتركى صاحبي ورائياً
 أيذهب يوم صالح أن أسامهُ بصالحِ أيامى وحُسنِ بلائياً ؟
 [١-١٨٦] / أتترك كلباً لم تنلها رماحنا وتذهب قتلَى راهطٍ هي ماهياً ^(٢) ؟
 فلا صلحَ حتى تدعسَ الخيلُ بالقنا وتثارَ من نسوانِ كلبِ نساياً

واضطرب يوسف الفهرى بعد هذه الواقعة عليه بالمصارة ، فجال في البلاد ،
 ثم نكث بعبد الرحمن بعد قبوله أمانه ، وخرج عليه منازعاً ، فظفر به وقتله ^(٣) .

واستوسق لعبد الرحمن ملك الأندلس ، فلم يبق له مخالف من أهلها ، فطال
 أمده وتوارث سلطانه عقبه . وعن الرازى أن يوسف تمثل عند دخوله عسكر
 عبد الرحمن ببيت حُرقة بنت النعمان :

بيننا نسوسُ الناسَ والأمرُ أمرُنا إذا نحن فيهم سوقةٌ نُنصِّفُ
 وكان معدوداً في فصحاء الأصرء ، وابنه أبو الأسود كذلك . وكان مقتل
 يوسف في سنة اثنتين وأربعين ، وألحق به ابنه عبد الرحمن بن يوسف ، وكان
 محبوباً بقرطبة .

(١) أكلت البيت من الأغاني (١١٢/١٧) .

(٢) في الأصل : وترهبُ قلبى راهطٌ . . . ولا معنى للشرط على هذه الصورة ، فقومته
 كما هو في المتن أعلاه ، وهو تقويم يجيزه رسم المخطوط . وورد هذا الشرط في الأغاني :

* ويترك قتلَى راهطٍ هي ماهياً *

(٣) الصحيح أن عبد الرحمن لم يقتل يوسف الفهرى . الذى حدث هو أنه صالحه وأعطاه
 الأمان وأتى به إلى قرطبة مع الصميل بن حاتم . ثم فر يوسف وتحصن بماردة وجمع جيشاً من ٢٠ ألفاً
 معظمهم من البربر وأراد المسير نحو قرطبة ، ولكنه هزم وتشتت جنده فهرب إلى ناحية طليطلة ،
 وظل شاردأ حتى قتله بعض أتباعه وأتوا برأسه عبد الرحمن سنة ١٤٢/٧٥٩ - ٧٦٠ .

١٨٨ — ابنه محمد بن يوسف ، أبو الأسود

هرب عند مقتل أبيه يوسف هو وأخوه خضر ، إلى أن جرى بهما فحبسهما مدة .
 وادعى أبو الأسود هذا العمى حيلةً وهو مبصر ، فزعم أن الماء نزل بعينيه .
 وأحسن التمثيل لذلك ، حتى جازت حيلته ، واشتبهت حركاته بحركات العميان ،
 ووقع الإشفاق عليه والرتاية له . وهُوْنٌ من حبسه ، حتى كان يقعد عنه الموكل به
 اختباراً لهدايته ، إذا خرج لوضوئه وقضاء حاجته ، فيبقى حائراً ينادى : « من
 يقود الأعمى إلى محبسه ؟ » ، فيرد . وكان أهل الحبس يومئذ ينزلون إلى النهر
 الأعظم — قُرْبَهُمْ — للطهور والوضوء ، على سرداب اتخذ لهم تحت الأرض ،
 إذ كان مكانه يومئذ لصقَ القصر ، على الهَبْط^(١) ، والرقباء عليهم . وقد أهمل
 ارتقابُ أبي الأسود هذا ، عندما وُجد السبيلُ للأمان منه من أجل عماء ، فتجمل
 هنالك في التدبير مع موالٍ له كانوا بقرطبة معه ، واتهمز فرصةً أجاز فيها الوادى
 سبحاً إلى خيل له قد أعدت بشاطئه^(٢) مع ثقات أصحابه ، فركب وفر ركضاً ،
 فنبجا ولحق بطليطلة . / ودعا إلى نفسه ، واستمال الناس بموضيعه ، وسار في عسكر [١٨٦س]

جحفل حتى حل بأحواز جَيَّان . نخرج إليه عبدُ الرحمن بن معاوية في جيوشه ،
 فلاقاه مرةً بعد مرة ، يهزمه في كل منها ويقتل له الجمع الكبير . وكانت بينهما
 بقسَطَلُونَة — على مخاضة الفتح^(٣) — حرب شديدة ، مكر عبدُ الرحمن فيها

(١) يهم من هذا أن اسم الهبط كان يطلق على ذلك الجزء المنخفض من شاطئ النهر المجاور
 للواء ، وكان سرداب السجن ينتهى عنده .

(٢) الأصل : بشاطبة ، وكذلك قرأها دوزى (ص ٥٦) وهو مستبعد . والصحيح
 ما أثبتناه ، والمراد الشاطئ الآخر .

(٣) ليس من السهل تحديد موقع هذه المعركة بدقة ، لأن قسطلونة المذكورة هنا كانت
 قرية تسمى Cazlona إلى جوار بلدة لينارس Linares الحالة في شمال مديرية جيان ، وكان اسمها

بأبي الأسود ، فراسلَ صاحبَ ميمنته ، وواطأه على جر الهزيمة من جهته ، ففعل . وانهزم أبو الأسود ، وقتل عامةُ رجاله ، فلم تقم له بعدُ قائمة . وذُكر أنه تمثل يومَ قَسْطَلونَة :

وموقفٍ مثل حد السيف قتُّ به أحمى الذمارَ وترميني به الخدقُ

وعن الرازي : أن هذه الواقعة بمخاضة الفتح كانت يوم الأربعاء غرة شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين ومائة ، بعد مواقفةٍ قبل ذلك أياماً كثيرة . قال : وقتل لأبي الأسود فيها أربعة آلاف من أصحابه ، سوى من تردى في النهر ، ووقع في المهاوى ، وتلف في الشعاب . وبلغ في هزيمته إلى قَسْطَلونَة على وادي الأحمر ، ومضى على وجهه إلى ناحية الغرب ، فبلغ مدينة قورية^(١) ، وتمادى في شروده وخلافه إلى أن هلك في سنة سبعين ومائة .

= في القديم **Castulone Castulo** (راجع معجم الأماكن الملحق بالترجمة الإسبانية للأخبار المجموعة ص ٢٥٠) . ونهر الوادي الأحمر المذكور هنا هو المعروف اليوم باسم **Quadalimar** نهر من نهيرات الوادي الكبير ، وينبع من جبال شقورة . وهذا النهر يتكون من نهيرات صغيرة **arroyos** تمتلئ بالماء بعد المطر وتصبح مخاضات ، فلا بد أن مخاضة الفتح المذكورة هنا كانت في ذلك الموقع . ويفهم من النص بعد ذلك أن المعركة كانت عند المخاضة ، ثم هرب أبو الأسود إلى قسطلونة . وللشاعر الأندلسي عاصم بن زيد بن يحيى العبادي أبيات في تهنئة سليمان ابن الأمير عبد الرحمن بنصره في هذه المعركة ، ويفهم منها أنه هو الذي كان يقود جيش الإمارة فيها . انظر بالإضافة إلى المرجع المذكور في النص :

Diccionario Geográfico Español, X, p. 420

والإحاطة لابن الخطيب ، مخطوط الإسكوريال رقم ١٦٧٣ ، ص ٣٥١ - ٣٥٢ .
(١) قُورِيَّة : في التقسيم الإداري الأندلسي كانت قورية من مدن كورة ماردة ، وكانت تابعة لقاعدة الكورة وهي ماردة (صفة الأندلس للرازي ، رقم ٤٦ ص ٨٦) . وهي مدينة قديمة عرفت قبل الفتح العربي باسم **Caurium** ، وهي من فتوح موسى بن نصير ، وقد أصبحت بعد ذلك من كبار معاقل إقليم الجوف وإن كانت دائماً معتقلاً للثوار والخارجين على الخلافة ، وقد استولى عليها أردونيو الأول ملك ليون سنة ٢٤٦/٨٦٠ ولكن المسلمين استردوها . ومهد إقليمها وأخلاه من الثوار عبد الرحمن الناصر ، ثم أتم عمله المنصور بن أبي عامر . وفي أيام الطوائف صارت قورية من توابع إمارة بني الألفونس في بطليوس ، ومن أيديهم استولى عليها ألفونسو =

وقيل إن عبد الرحمن غزاه في سنة سبعين ، فلما أحس به فرّ عن قورية ،
وانقطع وحدّه ، وانحاز إلى غياضِ أشبّة ، ثم صار إلى رَكَاة^(١) من طليطلة
فات هنالك .

وقام بعده أخوه قاسم بن يوسف ، فغزاه عبدُ الرحمن بن معاوية ؛ فلما دنا
منه خرج إليه بلا أمان ، فتقبّله وأمنه ، ونقله إلى قرطبة وأحسن إليه ، وكان آخر
المخالفين عليه .

=السادس قبل استيلائه على طليطلة، ولكن المرابطين عادوا فاستردوها . وفي أيام الموحدين أصبحت
معقلا إسلامياً ونقطة دفاع من جديد ، ولم تسقط نهائياً إلا حوالي ١٢٠٠/٥٩٧ في يد ألفونسو
الثامن . وهي اليوم مركز إداري في مديرية قَصْرِيش Cáceres في غرب إسبانيا ، وتقع على
نهر الحَجُون El-Alagón أحد النهرات التي تصب في تاجه ، وإقليمها خصب كثير المزارع ،
وهي قريبة من حدود البرتغال .

ويخلط في بعض الأحيان بين قُورِيّة وقوْرَة ، وهذه الأخيرة هي Coria del Río في
مديرية إشبيلية .

انظر : الإدريسي ، ص ١٨٣ . الروض المعطار ، رقم ١٥٣ ص ١٦٥ والترجمة الفرنسية
ص ١٩٨ . مادوث : ١٦/٧ وما يليها .

(١) المقصود بلدة Requena ، مركز إداري في مديرية بلنسية على ٦٩ كيلومتراً إلى
شرق بلنسية . ومن المعروف أن كورة بلنسية كانت تصاقب كورة طليطلة في التقسيم الإداري
الأندلسي ، والحدود بين الكورتين ليست واضحة لنا .

١٨٩ - الحُصَيْنُ بن الدَّجْنِ بن عبد الله بن محمد بن عمرو ابن يحيى بن عامر بن ملك بن خُوَيْلِدِ بن سَمْعَانَ ابن خفاجة^(١) بن عمرو بن عُبيد العُقَيْلِي

كان ممن استجاب لداعية عبد الرحمن بن معاوية الداخل إلى الأندلس ،
ومال إلى أنصاره من القحطانية والبيانية ، للذي كان بينه وبين الصَّمِيلِ بن حاتم
الكِلَابِي من المنافسة المألومة على الرئاسة . وهو ممن أشار على يوسف بن

(١) في الأصل : خفافة ، والتصويب من جمهرة أنساب العرب (ص ٢٧٤) فقد قال
ابن حزم في نسب بني عُقَيْلِ بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة : « ومن بني خويلد بن سمعان
ابن خفاجة : بنو الحسين بن الدجن بن عبد الله بمَنَمَتَيْشَةَ بالأندلس ، ودارهم جيان ووادي ياش ؛
وهم بنو عطاف بن الحُصَيْنِ بن الدَّجْنِ بن عبد الله بن محمد بن عمرو بن يحيى بن عامر بن
خُوَيْلِدِ بن سمعان ، منهم كان إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن صخر بن عَطَاف » .

ووادي ياش هي وادي آش Quadix ، كانت في التقسيم الإداري الأندلسي تابعة لكورة إلبيرة
(وهي غرناطة) وتقع على السفح الشمالي لجبل الثلج Sierra Nevada الذي يسمى أيضاً جبل
شُلَّر (عن اللاتينية Solarius Mons) ، واسمها معرب عن اللاتينية acci ، كانت أيام القوط
مركزاً لأسقفية تسمى كرسى أكشِي Sedes Accitana ، وتقع على نهر كان يسمى باسمها أيام
العرب ، ويسمى الآن Río Fardes الذي يسمى أيضاً Anchurón ، وعلى مقربة منها موضع
عين ماء معدنية يسميه العرب جِلِيَانُهُ (معرب عن Juliana) ، وقد اشتهرت بتفاحها حتى كانت
تسمى جليانة التفاح (ياقوت : ١٣٠/٣) وهذا الموضع يسمى الآن Graena .

وكل سفح الجبل الذي تقوم عليه وادي آش كان يسمى سَنَدِ وادي آش (اليوم
Marquesado del Zenete) . وعندما قام محمد بن نصر بن الأحمر بإنشاء دولته ضمها إليها
سنة ١٢٣٢/٦٣٠ . وقد سقطت وادي آش في يد فرناندو وإيزابيلا سنة ١٤٨٩/٨٩٥ .

انظر : ياقوت : ٢٥٧/١ (يكتبها تحت إش) . الإدريسي ، ص ٢٠٢ . الروض المعطار ،
رقم ١٨٤ ص ١٩٢ والترجمة الفرنسية ، ص ٢٣٣ والتعليقات . و :

SIMONET, *Descripción del Reino de Granada* (1872) p. 78-101.

وانظر مادة زايبولد عنها في د.م.إ. ، ١٨٩/٢ - ١٩٠ .

وهي اليوم مركز إداري في مديرية غرناطة على ٥٣ كيلومتراً شمالي شرقها .

عبد الرحمن الفهري باستبقاء عاصر العبدري وابنه وهب والحباب / الزهري [١٨٧-١] بعد قبضه عليهم ، فكف عن قتلهم حينئذ وشد صفادهم .

وأغزى طائفة من عسكره إلى البشكنس في ضعف وقلة ، لم يكره عطبهم . وبعث على خيلهم الحصين هذا ، فهزمهم الروم وقتلوا أميرهم سليمان ابن شهاب ، ونجا الحصين . وحضر يوم المصارة مع عبد الرحمن ، فكان — فيما روى — على خيله ، لصحة علمه بالعداوة التي كانت بينه وبين الصميل ابن عمه . وكان الحصين فارس أهل الشام بأساً ونجدة ، وكان شاعراً . فلما استوسق الأمر لعبد الرحمن بن معاوية ، عرف له صالح بلائه ، فاختصه وولاه الشرطة . وقرأت اسمه في شهود الأمان الذي عقده عبد الرحمن ليوسف الفهري عند اصطلاحهما بالبيرة ، وذلك في يوم الأربعاء لليلتين خلتا من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين ومائة .

١٩٠ - المخارق بن غفار الطائي

لما وجه أبو العباس السفاح عمه عبد الله بن علي إلى محاربة مروان بن محمد المعروف بالجمدي سنة ثنتين وثلاثين ومائة ودنا منه بالزاب^(١) عبره المخارق

(١) المقصود هنا زاب العراق لازاب المغرب كما هو واضح . ومن المعروف أن هناك أربعة أنهر في العراق تحمل هذا الاسم : اتنان منها يصبان في دجلة من ناحية الشرق ، الزاب الأعلى وينبع من الجبال الواقعة بين أرمينية وآذربيجان ويصب في دجلة عند مدينة الحديثة ، والزاب الأدنى — الذي يسمى بالمجنون لتغييره مجراه دوماً — وينبع من ناحية شمرزور ويصب في دجلة عند بلدة السن ، وقد أفاض الجغرافيون في التحدث عن خصب =

ابن غفار الطائي هذا ، وكان من جنده عبد الله وثبت في أصحابه فأسر ولم يعرف أنه المخارق ، فكان محبوساً في عسكر مروان إلى أن انهزم واستولى عبد الله على عسكره وتخلص المخارق . وكان ممن سعى قبل ذلك مع أبي مسلم .

ولما وجه أبو جعفر المنصورُ محمد بن الأشعث الخزاعي — وهو عامله على مصر — إلى إفريقية ، وجيز الجيوش إليه ، عهد إليهم إن حدث بابن الأشعث حدث فالأمير الأغلب بن سالم ، فإن حدث به حدث فالأمير المخارق بن غفار ، فإن حدث به حدث فالأمير المحارب بن هلال الدارمي ، فهلك المحارب في الطريق قبل أن يصلوا إلى إفريقية ، وولى المخارق من قبل ابن الأشعث طرابلس في مقدّمه عليها من مصر ، ثم استدعاه فولاه طُبْنَةَ (١) . وعند قيام الحسن بن حرب الكندي على الأغلب في ولايته وإقباله إلى القيروان في عدة عظيمة ، جمع الأغلب أهل بيته وخاصة أصحابه وتكلم بكلام أعلمهم فيه أنه يلاق الحسن

الأراضي الواقعة بين هذين النهرين . أما الزابان الآخران في العراق أيضاً فإلى الجنوب من هذين : بين بغداد وواسط ، ويسمى الأربعة بالزابات .

انظر : ياقوت : ٣٦٤/٤ - ٣٦٥ و :

GUY LE STRANOE, *Lands of the Eastern Caliphate*, (Cambridge, 1980) p. 90 sqq.

(١) طُبْنَةَ : كانت قاعدة زاب المغرب ، وهو المنطقة الواقعة جنوبي مدينة قَسَنْطِينَة الحالية بين شط هُدْنَة وجبال أوراس . وقد سكنت إقليم الزاب جماعات من مهاجرة العرب من أوائل أيام الفتح واختلطت بالنازلين هناك من البربر ، ومعظمهم من هوارة ، وكان الزاب معروفاً بخصبه ووفرة ثماره ولهذا كان من أعمار نواحي المغرب الأوسط . وينقسم الزاب قسمين : الزاب الأعلى ويمتد من جنوبي قسنطينة إلى ساحل البحر إلى الغرب ، والزاب الأسفل ويمتد من جنوبي قسنطينة إلى سفوح جبال أوراس . وكان الأول تابعاً من الناحية الإدارية لولاية إفريقية (تونس الحالية) ولهذا كان عربيه يعدون أنفسهم من عرب إفريقية ، وكثير نزاعهم مع ولايتها ، أما الزاب الأسفل فكان معدوداً في المغرب الأوسط ، أي الجزائر الحالية .

انظر : اليعقوبي ، صفة المغرب ، ص ١١ . ياقوت : ٣٦٥/٤ .

وحده إن لم يعنه أحد ولو كان في ذلك إتلاف^(١) نفسه ، ثم أنشأ أبياتاً قالها :
 سيّان موتٌ بالقنا وبالسّقم / والقتلُ في الهيجاء أدنى للكرم [١٨٧-ب]
 موتى غداً تحت لوائى والعلم

ثم دعا المخارق بن غفار فقال له : « إن في أهل بيتي من هو أولى بما دعوتك له منك وأقعدُ باستخلافِ إياه ، غير أني كرهت أن يقول قائل : [انفراد^(٢) بها في أهل بيته وأن تميل بكم العصبية » . ثم وصاه بالطاعة وحذره عاقبة الخلاف ، فأجابه المخارق بكلام فيه بلاغة وبيان معترفاً له بحقه ، وقام بالأمر بعده ، وهو الذي صلب الحسن بن حرب بالقيروان ؛ وقد تقدم ذكر ذلك .

ثم قدم يزيد بن حاتم والياً على إفريقية من قبل أبي جعفر المنصور ، فكانت له في أيامها أخبار . وحكى صاحب « الكتاب المعرب عن المغرب » أن المخارق ركب يوماً في بعض الحروب الإفريقية على فرس أنثى ويده القناة فبرز بين الصفيين وهو يقول متمثلاً :

رائعة تحمل شيخاً رائعا مجرباً قد شهد الوقائعا

قال : وكان شريف القدر عظيم الحال لا يُقايَس إلا بابن الأشعث والأغلب بن سالم وأمثالهما . وأخوه السّندي بن غفار وابنه المهتمتا بن المخارق لاحقان به .

(١) الأصل : تلك تلاف .

(٢) أضفت هذه الكلمة للسياق .

١٩١ - رَوح بن حاتم بن قَبِيصَةَ بن المهلب

ابن أبي صُفْرَةَ الأزدي العكيّ ، أبو خَلَف

حجب أبا جعفر المنصور أول أيامه ، وقبل التعلق به نظر إليه رجل واقف في الشمس عند باب المنصور فقال له : « لقد طال وقوفك في الشمس ! » فقال : « ليطول قعودي في الظل . . »

وَوَلِيَ الكوفةَ والبصرةَ للمهدى . وَوَلِيَ أيضاً السُّنْدَ وطبرستان وفلسطين ، ثم ولى إفريقية والمغرب لهارون الرشيد ، وذلك لما بلغه موت أخيه يزيد بن حاتم ، فعزاه الرشيد وقال : « أعرفُ أن له صنائعَ بالمغرب ، ولا آمن عليهم متى وليتُ غيرك ، ولكن اخرج من فورك إلى إفريقية ، وحطّ صنائعه » . فخرج من فوره وشيَّعه الرشيد وودعه وانصرف . ثم لحقه وصاح به : « يا وَيْحُ (١) ! لا ترجع ، ولا تنزل . أنت مسافر وأنا مقيم ! » ثم سايره وقال : « عليك بالزاب ، املاه خيلاً ورجلاً » .

وكان لروح رأى وحزم وشجاعة وجود وصرامة ، وهو أسنُّ من أخيه يزيد وأنه منه ذكراً بالمشرق . ومن عجيب الأخبار وطريف الآثار أن المنصور [١-١٨٨] وجه يزيد بن حاتم إلى إفريقية وروحاً أخاه إلى السُّنْد ، / فقيل له : يا أمير المؤمنين ، لقد باعدت بين قبريهما ! فقضى أن ماتا جميعاً بالقيروان ، ودفنا بباب سلم (٢) ، وعليهما سارية مكتوب فيها اسمهما .

(١) كذا ، وربما كانت صحتها : ياروح .

(٢) باب سلم مقبرة مشهورة خارج القيروان ، وفيها قبور نفر كبير من الصالحين وأهل العلم ، وذكره كثير في رياض النفوس للمانكي .

ولروح يقول أبو دلامة ، وقد قال له : « لو خرجت معنا ! » في خروجه
لمقتال الخوارج :

إني أعوذ بروح أن يقدمني إلى القتال فتخزي بي بنو أسد
إن الذنوب إلى الأعداء نعمة مما يفرق بين الروح والجسد
إن المهلب حب الموت أورثكم ولم أرث جلدًا للموت من أحد

وأما أنباؤه في الجود فكثيرة ، منها أنه كان يوماً جالساً في منظره مع جاريتته
« طلة » وكانت بارعة الجمال ، إذ طلع خادم له بقادوس مملوء ورداً في غير
أوانه فاستحسنه وأمر بأن يملأ دراهم لمهديه ، فقالت الجارية : « ما أنصفته ! » ،
قال : « وكيف وقد ملأته بدلا من ورده دراهم ؟ » ، قالت : « فإن ورده أحر
وأبيض ، فاخلط له الصلوة » ، فأمر بدنانير فمزجت مع الدراهم .

ومنها — ويستدل به على بلاغته ورسائله اللاحقة بنمط الكتاب — أنه
وجه في ولايته إفريقية إلى كاتبه بثلاثين ألف درهم ، وكتب معها : « قد بعثت
إليك بثلاثين ألف درهم ، لا أقللها تكثراً ولا أكثرها تمنناً ، ولا أستثيبك
عليها ثناء ، ولا أقطع لك بها رجاء ، والسلام » .

وبالجملة فهو لاء المهالبة أخذ العرب شرقاً ، والأمداح في مقاصدهم قصد
إذا كانت سرفاً .

ويحكى أنه مات لروح هذا ولد ، فأقبل الحى يعزونه ، فألفوه رخي البال
ضاحك السن ، فتوقفوا عن تعزيتته ، وعرف ذلك فأنشأ يقول :

وإنا لقوم ما تفيض دموعنا على هالك منا وإن قصم الظهرا

وهذا البيت في شعر لأبي الهيثم عامر بن عمار بن خريم المرسي يرثى به أخاه ، وكان قد قتله عامل سجستان الرشيد ، فجمع أبو الهيثم جمعاً عظيماً لطلب ثأر أخيه وقال في ذلك :

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا فإنَّ بها ما أدرك الطالب الوترا
ولستُ كمن يبكي أخاه بعبرةٍ يعصّها من جفن مقلته عصراً
ولكنني أشفي فؤادي بغارةٍ ألهبُ في قطري جوانبها الجمراً [١٨٨-٤]
وإنا أناس ما تفيض دموعنا على هالكٍ منا وإن قصم الظهرنا

١٩٢ - ابن أخيه داوود بن يزيد بن حاتم

استخلفه أبوه يزيد على إفريقية في مرضه الذي توفي منه في شهر رمضان سنة سبعين ومائة ، فجعل على شرطته خالد بن بشير ، وبعث أخاه المهلب بن يزيد والياً على الزاب ، وقد كان قبل ذلك عليها من قبل أبيه حين عزل المخارق ابن غفار الطائي عنها .

وأقام داوود والياً تسعة أشهر ونصف شهر إلى أن قدم عمه رَوْح بن حاتم أميراً على المغرب من قبل هارون الرشيد ، وقفل داوود فولاه الرشيد مصر سنة أربع وسبعين ، ومات بالسند وهو أمير عليها ، وكان جواداً ممدوحاً معدوداً في أدباء الأمراء وله يقول مسلم بن الوليد :

اللهُ أطفأ نارَ الحرب إذ سَعرتُ شرقاً بموقديها في الغرب داوود
ماضي العزيمة لا تخلو بديهته رأى المهلب أو رأى الأيازيد^(١)

(١) الأيازيد جمع يزيد ، والمراد أولاد يزيد بن حاتم بن قبيصة والي المغرب لأبي جعفر المنصور ، وقد سبقت الترجمة له .

١٩٣ - نصر بن حبيب المهلبى

كان على شرطة ابن عمه يزيد بن حاتم فى ولايته كلها بمصر وإفريقية ، وكان محمود السيرة ، محبباً إلى الناس ذا أدب ومعرفة ، فلما ولى رَوْحُ بن حاتم بعد أخيه يزيد - وقد أسنَّ وكبر حتى كان إذا جلس للناس كثيراً ما يغلبه النوم من الضعف - كتب أبو العنبر القائد وصاحب البريد إلى هارون الرشيد بضعف روح وكبره ، وسألامنه ولاية نصر هذا فى السَّرِّ ووصفاه بحسن السيرة ، وبأنَّ له سنًا ومعرفة ، فكتب الرشيد عهدَه وبعث به سرًّا .

وتوفى رَوْحُ على إثر هذا ، فاجتمع الناس ليبياعوا قَبِيصَةَ ابنته ، وقد فرَّش له فى الجامع ، وكان أخوه الفضل بن روح غائباً بالزَّاب وعاملاً عليها ، فركب أبو العنبر وصاحب البريد بعهد الرشيد إلى نصر بن حبيب فأوصلاه إليه ، [١٨٩-١] وسلَّمَا عليه بالإمرة ، / وركبا به إلى المسجد فى من معهما حتى أتيا قبيصة وهو جالس على الفرش ، فأقاماه وأقعدا نصرًا وأعلما الناس بإمرته وقرأا كتاب^(١) الرشيد عليهم فسمعوا وأطاعوا ، وذلك يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربع وسبعين ومائة ، إلى أن صُرف بالفضل بن رَوْح بن حاتم لعشر بقين من ذى الحجة سنة ست وسبعين ومائة ، فكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر لم يعدل أحد كان قبله عدله فيها .

ورسالتُه التى كتب إلى العمال بها لما ولى مذكورة فى الكتاب المُعرب عن أخبار المغرب ، وهى دالة على مكانه من البلاغة والبيان .

(١) الأصل : وقرأ كتب .

١٩٤ — عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية

المعروف بالبلسي

قام بالأمر لأخيه هشام بن عبد الرحمن ، إذ كان غائبا عند وفاة أبيهما بجاردة ، إلى أن ورد قرطبة فبادر لمبايعته وتسليم القصر إليه ، وخرج إلى داره ؛ وذلك في غرة جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين ومائة . ثم استوحش منه ، فهرب إلى أخيهما سليمان كبير أولاد عبد الرحمن المولود له بالشام — وكان منازعاً لهشام — وأقام معه بطائيلة . وبعد ذلك ورد قرطبة محكماً في نفسه بلا عهد ولا أمان ، فقبله هشام ، وطلب الخروج إلى العدو فأسعفه ، واتبعه في ذلك سليمان ، فاستراح منهما هشام إلى أن توفي سنة ثمانين ومائة .

وولى ابنه الحكم بن هشام المعروف بالرَّبِضِيّ ، فوصل عبد الله من العدو ونزل بكورة بِلَنْسِيَّةٍ وقدم بعده سليمان من طَنْجَةَ ، فنازعا الحكم وحاربا ، فقتل سليمان في خبر طويل . ورجب عبد الله في المقام بِلَنْسِيَّةٍ ، على أن يؤدي الطاعة ولا يظأ له بساطاً ، فتم ذلك .

وأقام إلى أن توفي الحكم ، وولى عبد الرحمن ابنه ، فأخر بيعته والتوى بها ، وكتب إليه يعتل عليه ، ويعدد حقوقه عنده وعند أبيه وجده ، ويسأله أن يضم كورة تَدْمِيرٍ إليه ويتجاني له عن خَرَجِهَا . وتقدم على تَفْتَةِ^(١) ذلك من بِلَنْسِيَّةٍ إليها فاحتلها ، وكشف وجهه بالمعصية ، واستنفر إليها من حوالياه / فتاب [١٨٩-١٩٠] إليه منهم خلق كثير ، عسكروا معه بباب تَدْمِيرٍ ، وكان توافيهم إليه في يوم خميس أرادوا الخروج فيه نحو قرطبة ، فأتاهم وقال : « بل نصلى على بركة الله

(١) الأصل : تفتية ، والمراد : على إثر ذلك ، وربما كانت صحتها نَيْتَةٌ .

غداً صلاة الجمعة ، ونفصل يوم السبت بعده ، فتولى الخطبة بالناس يوم الجمعة ، فأبلغ في تذكيرهم وتحريضهم ، وكان خطيباً مصقماً . فلما شارب مقطع خطبته قال : « معاشر الناس ! رحمكم الله ، آمنوا على ما أدعو الله به ، واسألوه ما أنا سائله من الخيرة فيما أوامه » ، ورفع يده نحو السماء فقال : « اللهم إن كنتُ أحقُّ بهذا الأمر الذي قمت فيه من عبد الرحمن بن هشام — خفيد أخى — فانصرني عليه ، وافتح لي فيه ، وإن كان هو أحقَّ مني — وأنا صينوُ جده — فانصره عليّ » ، فأمن الناس جميعاً عاليةً أصواتهم . فلم يكذب استوعب كلامه ، حتى ضربته الريح الباردة فسقط إلى الأرض مفلوجاً ، واحتُمِل إلى مكان مُضطرب به ، فأكمل الناس صلاتهم بغيره .

ومكث عبدُ الله مسكناً أياماً ، ثم إن الله أطلق لسانه ومنعه سائر جوارحه ، فقال لأتباعه : « إن الله تعالى قد أجاب الدعوة ، وفصل الخطاب ^(١) ، وحماني الإمرة ، ولا مرد لحكمه . فامضوا لسبيلكم » ، فتفرق جمعه . وصرفه أهله إلى وطنه بيلنسية ، فكاتب عبد الرحمن بخبر علقته ويأسه من نفسه ، وعهد إليه بالنظر لأهله وولده ، فأنفذ عهده ولم يعرض له إلى أن مات سنة ثمان ومائتين . وقد كان ابنه عبيدُ الله بن عبد الله لحق بالحكم بن هشام ، وكان من ذوى مشورته وكبار [قواده] ^(٢) وأغنى « يومَ الهَيْج » أعظم غناء ، ثم قاد الصوائف لعبد الرحمن بن الحكم ، فكان يعرف بـ «صاحب الصوائف» ؛ وهو أحد رجالات بني أمية .

(١) الأصل : وفصل الخطبة .

(٢) يباض في الأصل .

١٩٥ - فطيس بن سليمان بن عبد الملك بن زيان ، أبو سليمان - الكاتب

باني بيت الوزراء بني فطيس . دخل الأندلس في أيام الأمير عبد الرحمن ابن معاوية ، فضمه إلى ابنه هشام وكتب له حتى إذا ولى الخلافة ولاء السوق ، وكورة قبرة^(١) ، والوزارة .

وأما الحكم بن هشام على ذلك - بعد وفاة أبيه هشام ، واستكتبه أيضاً . وكان له في « الهيج » مقام / محمود . قال أبو بكر الرازي : رأيت اسم فطيس في ديوان الأمير الحكم أول اسم : « أبو سليمان فطيس ، خمسمائة دينار » . قال : وتوفي في أخريات أيامه .

وفطيس هذا خاتمة الدين أقيمت في هذه المائة على ما شرطت ، ولم أذكر فيها إلا من كان بالشعر مذكوراً ، أو على فن من فنون الأدب مقصوراً ؛ وكذلك فيما بعد .

* * *

(١) قبرة : اسم كورة من كور جنوب الأندلس ، وهي أولى الكور الوارد ذكرها في التعليق المنتقى من فرحة الأنفس ، ص ١٣ وفي ترجمة صفة الأندلس للرازي ، رقم ١١ ص ٦٥ . وكانت تلك الكورة تقع جنوب قرطبة وشمال كورة إلبيرة ، بينها وبين كورة جيان . وقبرة اليوم Cabra مركز إداري في مديرية قرطبة .

انظر : الروض المعطار ، رقم ١٣٤ ص ١٤٩ والترجمة الفرنسية ص ١٧٨ .